● سينما ●

المخرج الهنغاري اشتيفان سابو :

بطل «مفيستو» راغب في التجوال في الجانب المشمس من الحياة !

من مفيستو

اشتيفان سابو في لقطة عمل

يحتل المخرج الهنغاري اشتيفان سابو مكانة متميزة ، ليس فقط بين المخرجين الهنغار ، انما بين المخرجين العالميين الكبار الذين ساهموا مساهمة فعالة في تطوير القيم الفكرية والفنية للسينما المعاصرة .

حازت اغلب اعمال سابو السينمائية على جوائز عديدة في المهرجانات الدولية ، وقد عرض فيلمهم « الثقة » في كانون الثاني عام ١٩٨٠ ، كما عرض ايضاً فيلمه « الطائر الأخضر » .

اما فيلمه الأخير ، والاكثر شهرة « مفيستو » فقد أثار جدلاً واسعاً في الاوساط الثقافية والفنية . . اعتمد الفيلم على مخطوطة كتبها « سابو » بمشاركة « بيتر دوباي » ، أخذت عن رواية « كلاوز مان » . .

هنا ، ننشر قسماً وافياً من الحوار الذي نشرته المجلة الفصلية الهنغارية ، الذي يكشف فيه ستيفان سابو عن طريقة تعامله مع النص الروائي سينمائياً ، ويحلل مرحلة تاريخية دقيقة ، هي مرحلة صعود النازية في اوربا ، كما يفحص بعناية فائقة شخصية بطل فيلمه : مفيستو . . .

منزل بدون مال

● نشرت رواية كلاوزمان « مفيستو » في هنغاريا بطبعة واحدة عام ١٩٥٧ ، ولم تلق استجابة هامة عند صدورها ، ولم يقرأها الا عدد قليل من القراء ، لماذا اخترت انت تلك الرواية تحديداً ؟

ـ في الحقيقة ظهرت الرواية لأول مرة في هنغاريا اوائل عام ١٩٤٥ ، ولم اكتشفها انا ، انما المنتج الذي طلب مني ان اصنع فيلم « الطائر الاخضر » هو الذي نبهني اليها .

● عن أي شيء يدور فيلمك « الطائر الأخضر » ؟

ـ انه قصة حب حول موضوع ممكن تسميته تسوية ، وقبل ان اكمل فيلمي « الثقة » عرض عدد من افلامي في المانيا الفدرالية ، الأمر الذي حث المنتج الالماني الغربي على ان يطلب مني ان اعمل معه . وبعد ان انهينا فيلم « الثقة » في هنغاريا ، أخرجنا « الطائر الأخضر » ، كانت ميزانية الفيلم شخصية ، وعملنا في ظروف بسيطة الى حد بعيد ، وباشرنا تصوير الفيلم ، ولم تكن لدى المنتج اموال فائضة . . لذا كلما شعرنا بالحاجة لتغيير شيء ما خلال التصوير وجدنا التكلفة تفيض عن المالية المقررة على حساب المشاهد الأخرى في الفيلم ، اقول بشيء من السخرية ، انه من المحتم علينا ان نتعلم كيف نبني منزلاً بدون اموال ومواد لازمة لذلك .

قصة الرجل الغريب

● لنعد الى قصة « مفيستو »

ـ عندما قرأت الكتاب اعجبت به على الفور ، خاصة وقد اكتشفت فيه امكانية ان اصنع منه فيلماً معاصراً الى حد بعيد ، رغم اني لم اكن قد اعتمدت من قبل على مصادر ادبية في افلامي . كنت اعتمد فقط على السيناريوهات التي اكتبها أنا . ولوقت طويل كنت أفتش عما يجعلني اشعر بكوني مخرجاً ، بكلمة اخرى ، شيء يشعرك وكأنك تصنع فيلماً اعتماداً على طاقاتك ، ليس في صياغة الكلمات والحوار والمواقف ، انما بالتحديد في الاخراج . . ورواية كلاوزمان تطابقت مع قناعتي القديمة ، ذلك أنك لا تستطيع ، او على الاكثر ، يجب الا تصنع فيلماً من عمل ادبي محدد بشكل تام ، حين يكون بحوزتك تحفة ، فالحالة الممكنة ، الأكثر نضجاً لرسالتها هي النص نفسه . وعليك ان تقرأه . لدي اكثر من مادة خام مناسبة ، تصلح لأن تكون فيلماً جيداً ، تلك المادة موجودة في العمل الأدبي الذي ينطوي على مفهوم يحمل قدراً كافياً من الابتكار والاثارة ، ولكن لعدة اسباب ، فهذا العمل الادبي لا يمكننا ان نضعه ضمن الاعمال الممتازة .

ان رواية كلاوزمان تعالج موضوع توبري ومثير ، لكن المعالجة تفتقر الى القيمة الدائمة . انها ببساطة رواية تقص احداثاً ، وغالباً ما تكتفي بتخطيط تلك الاحداث ، دون اي صراع حقيقي للشخصيات النامية ، حين تصل الرواية الى العقدة التي تمثل الطور التاريخي الأكثر شأناً ، ان كلاوس مان يستطيع فقط ان يعتمد على خياله ، اذ انه كتب الرواية عام ١٩٣٦ في المنفى ، وهي تتحدث عن حياة تمثل موهوب لدرجة كبيرة جداً ، وقد بدأ مسيرته كعضو في فرقة فنية تابعة لمدينة صغيرة ، وكان يميل بقوة الى الحركات اليسارية في المانيا في النصف الثاني من العشرينات . . . وكان اصدقاؤه من الشخصيات المثقفة اليسارية ، ! وهكذا كان غالباً ما يساهم في النشاطات السياسية والفنية والتي من خلالها كان يؤكد موهبته الاستثنائية ، وعلى الفور انطلق من برلين حيث تزداد مسيرته الفنية نجاحاً . . واستمر بدعم الحركات اليسارية ، ثم جاء هتلر الى السلطة ، فشعر الممثل بالخوف ، وفكر بالسفر الى الخارج . لكن الجمهور المعجب به لم يسمح له ، وبعد ذلك ، وبتكيف ذكي ، وبسرعة استطاع ان يكسب النازيين الى جانبه ، وتمكن من ان يستمر تحت حماية كبار القادة الاشتراكيين القوميين ، وارتقى نجمه الفني بشكل لا يقاوم ، واصبح مديراً للمسرح . .

كان يعرف جيداً ماذا يفعل ، وكان دائماً يفبرك الافكار الايديولوجية لنفسه ، ليوضح افعاله ونشاطاته ليس فقط ليقنع نفسه ، انما ايضاً لاعتبار نفسه حامياً للقيم الانسانية ، انه احياناً يتحدث عن شكوكه في دائرة صغيرة ، لكن حتى ذلك كان جزءاً من نتاجه المسرحي ، ومع ذلك استطاع ان ينقذ القليل من الناس ، بالطبع الناس القريبين منه ، وهكذا أخذ يشعر ان بامكانه ان يؤ من بقوة انه يفعل كل شيء ممكن من الناحية الانسانية ، باختصار ، مفيستو ، هو قصة رجل غريب تخبرنا مسيرته الحياتية بالكثير .

من اي طريق تهب الريح !

● ما قلته يبدو وكأنه يظهر أن القصة هي واحدة من تلك الاعمال التي تضيء التفسيرات المختلفة للعلاقة بين الممثل ـ الفنان عموماً ـ والسلطة !

ـ هذا الفيلم لا يدور حول الممثلين ، ولا عن علاقة الممثل بالسلطة ، الفيلم يريد ان يصور بطلاً وحيداً ، يريد ان يتحدث عن وجود الشخصيات ، وعلى الأكثر الشخصيات الرديئة ، او بدقة اكبر عن الجوانب السيئة لدى العديد من الناس ، تلك التي تدفعهم ، تدفع انفسهم الى الأمام مهما كلف الأمر ، تحت اي ظروف ، كي يحققوا النجاح . انه لأمر طبيعي الاحساس بالأمن ، وشيء جيد اذا أحس المرء بكونه محبوباً ومعروفاً ، ولكن ان تنال حب الجميع ، دعم الجميع ، ميل ودعم كل نظام سياسي ، كل مجموعة سياسية ، ولكي تنجز ذلك عليك ان تكون مشغولاً في الليل والنهار . . . ان يجعل المرء نفسه مكيفة بواسطة الآخر للمناورة ، أن يكتشف آخر اتجاه ليتحول اليه ، ان يفحص بشكل لا نهائي من اي طريق تهب الريح ، فهذا شيء خطير جداً .

بطل هذا الفيلم هو أحد اولئك الناس الذين يدعمهم ، ويوافق عليهم كل شخص ، انه فقط قادر على العيش بنجاح ، فقط راغب في التجوال في الجانب المشمس من الحياة ، وهكذا فإن موهبته الاستثنائية الحقيقية وقيمته الثابتة بالامكان وضعها في خدمة اية متعة شيطانية ، انه يدع الجانب السيء من شخصيته ان يحكم قراراته ، ذلك ان قدراته تجعله رجلاً ذا قيمة جوهرية ، انه في شك دائم ، وغالباً ما يحتقر نفسه ، لكن شكوكه وازدراءه لنفسه وحنينه الى الخير ليست من القوة الكافية بحيث تهزم رغبته الدائمة في ان يكون في موضع تسلط فيه الاضواء عليه ، في ان يحرز نجاحاً ، في أن يرتقي القمة ، لذا فهو يشرح خطواته لنفسه ، انه مهيء دائماً لأن يصنع ايديولوجيا تغفر له اخطاءه . .

العشرينات سنوات قلقة

● رواية كلاوزمان والفيلم تدور احداثهما في مرحلة تاريخية محددة ، وفي مكان محدد ايضاً ، المانيا في العشرينات والثلاثينات ، كيف ترى تحليل تلك المرحلة التاريخية المحددة في ذلك الوقت ؟

ـ ما أردت تحليله او تشخيصه هو ليس المرحلة التاريخية ، انما الشخصية المحددة ، فأنا اعتقد ان الوضع التاريخي مرسوم في الرواية ، وبمقدروه أن يضيء هكذا شخصية بنقطة نور ساطعة ، فالوضع التاريخي يسمح بتحليل دقيق وحاد للشخصية ، تلك كانت سنوات قلقة الى حد بعيد ، بانعطافات مفاجئة ومواقف من الواضح انها جعلتها ممكنة وضرورية لأن تمنح الخيارات ، هكذا تاريخ كان قد جلب حقائق لا مفر منها في اوربا والعالم ، والتي من الممكن أن تحدث عبرها هذه القصة ، انها من الممكن ان تحدث الآن ايضاً ، فبامكانك ان تجد مثيلاً لها حين تفتح الجريدة او تشاهد الاخبار عبر شاشة التلفزيون ، ان الحوادث التي وقعت في منتصف قرننا ، خطت مسرعة بشكل كبير ، وبمقدور المرء ان يواجه العديد من المواقف المختلفة خلال حياته التي يعيشها مرة واحدة ، باعتبارها ، اي المواقف ، حالة شؤون عادية ، اذن ، هي دهشة صغيرة في هكذا عالم ، موقف مشابه لموقف بطلنا الذي اصبح اكثر عمومية ، أياً كانت التفاصيل ، واذا كانت هذه هي الحالة فيجب ان يشار اليها ، يجب ان تحلل . .

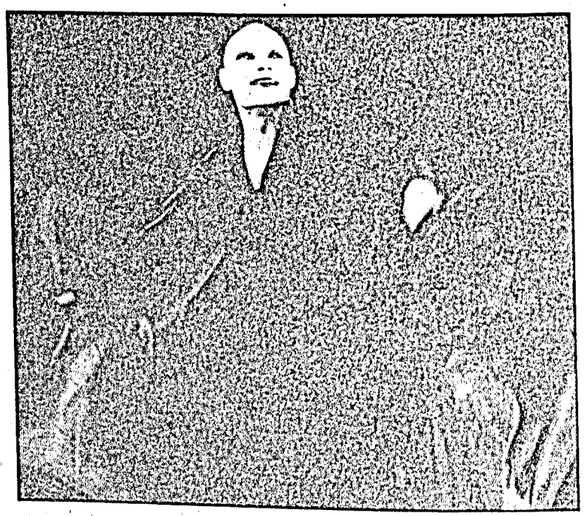

. . ومن مفيستو أيضاً

ترجمة وتقديم : عبد الله صخي